وصية لمن أراد الحج

للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي

هذا تفريغ وتلخيص للمحاضرة القيمة التي ألقاها فضيلة الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي. استمع للمحاضرة على موقع طريق الإسلام

يقول السائل: فضيلة الشيخ -حفظك الله- أشُهد الله على محبتك ومحبة من حضر هذا المجلس في الله.

والسؤال: هل من وصية توصي بها من أراد الحج إلى بيت الله الحرام.

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن واله، أما بعد:

فأشُهد الله على حبكم في الله عز وجل وأسال الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله، أن يجمعنا بهذا الحب في دار كرامته.

أما ما سألت عنه أخي في الله من الوصية لمن أراد الحج؟

الوصية الأولى: الإخلاص

أولًا: وقبل كل شيء أن يصلح ما بينه وبين الله فمن أراد الحج إلى بيت الله الحرام؛ خير مايوصى به تقوى الله عز وجل.

وما خرج عبدًا من الدنيا بزاد أحب إلى الله من تقواه ودعى خلقه إلى ذلك بقوله {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} [البقرة من الآية:١٩٧]. وما خرج عبدًا من بيته يريد بيت الله على حال أكمل ولا أجمل ولا أفضل من أن يكون من المتقين. فأهل التقوى الذين اتقوا الله عز وجل في جميع أحوالهم وأمورهم؛ هم السعداء وهم الصلحاء وهم الأصفياء {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنو وكانوا يتقون} [يونس:٦٢:٦٣]. ومن تقوى الله أن يخرج من بيته إلى بيت الله وليس في قلبه إلا الله، أن يخرج لله وفي الله وابتغاء مرضاة الله، يتمنى أن عينًا لم تراه وأن أذنًا لم تسمع له، لكي يخلص لله حجه ويخلص لله قلبه وقالبه. المخلص هو الذي إذا تحرك للحج لبيت الله لم يتحرك من أجل أن يرفَّه عن نفسه ولا لأحبابه وأصحابه أو لدنيا يريدها أو لشهوتٍ يطلبها، وإنما يخرج كما وصف الله أهل الصدق من أولياءه { يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا} [الفتح من الآية:٢٩].هؤلاء الذين أمّوا البيت الحرام فعظم الله شأنهم وحذرعباده من حرمتهم.

فقال سبحانه {لا تحلو شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا} [المائدة:٢].

زكاهم الله من فوق سبع سماوات؛ أنهم يبتغون الفضل من الله وأنهم يبتغون رضوان الله فخرجوا يوم خرجوا ليس في قلوبهم إلا الله، وخرجوا يوم خرجوا لكي يبث العبد إلى ربه حزنه ويشتكي همه وغمه وحزنه بعد أن ضاقت عليه الدنيا بأسرها، ولكي يبث إلى الله همومه، فيشتكي إلى الله ذنوبه وعيوبه لعل الله أن يتولاه برحمته لعله يغفرها له، ويشتكي عيوبه لعل الله بلطفه أن يسترها، ويشكو إلى الله ماسلف وكان من الذنوب والعصيان لعل الله أن يشمله بالصفح والعفو والغفران، ويذرع إلى ربه خائفًا وجلًا فيما بقى من عمره، ويسأله أن يحسن له الخاتمة فيما بقى من أجله. أقوامًا خرجوا إلى ربهم صدقًا وتعبدوا لله حقًا؛ فأمورهم مع الله وجميع أحوالهم لله وفي الله ما خرجوا رياءً ولا لسمعة ولا لتجارة -ولا في هذه الدنيا- لعمارة وإنما خرجوا لكي يكتب الله خطواتهم، خرجوا لكي يكتب الله آثارهم فينادي عليهم منادي الله أن حجهم مبرور وسعيهم مشكور وأن ذنبهم مغفور.

أول ما يوصى به الحاج لبيت الله: الإخلاص؛ من خرج طاهرًا القلب نقي السريرة؛ فتح الله في وجه أبواب رحمته، من خرج من بيته في الله ولله يسرالله له طريقه.

الوصية الثانية: العلم

أما الوصية الثانية: العلم والهدى والنور، أن يخرج بنور من الله، بهدي الكتاب والسنة أن يخرج عالمًا بهذا النسك؛ عالمًا بأحكامه فيفرق بين الحلال والحرام ويفرق بين الواجب والمستحب على علم بالسنة وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، خير الناس من حج البيت واعتمر وقد تعلم الأحكام وأتقنها فلم تفته مسألة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يضيع سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم في حجه وعمرته، كل هذا من أجل أن يطبق ويعمل، كل هذا لكي يكون أجره في الحج أكمل وأجره في العمرة أجمل. لأن أعظم الناس أجرًا في صلاته وزكاته وصومه وحجه وعمرته من فعل ذلك كله وفق هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن اهتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب الهدى ومن اهتدى بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابته الرحمة، وصدق الله {واتبعوه لعلكم تهتدون} [الأعراف:١٥٨]، وهذا كله أعني -العلم بالسنة- لايكون إلا بتوفيق الله تعالى ثم بالرجوع إلى العلماء الأمناء الأتقياء الذين يؤتمنون على دين الله، ويرضاهم العبد حجة له بين يدى الله. يبحث عن من يُأخذ بحجزه عن دين الله ولا يُرقع دينه ولا يذهب يمنة ويسرة يتتبع الرخص، وأن يبحث عن من يوثق بدينه وعلمه.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: "رضيت بمالك حجة بيني وبين الله"

وفي هذا تنبيه على أنك إن إذا أخذت العلم عن أحد؛ فإما أن يكون حجة لك بين يدي الله أو حجة عليك، فإما أن يكون خير لك أو وبالًا عليك. فإن كان من أهل العلم الثقات الصادقين فإنه يحجزك -بإذن الله- عن محارم الله ويحملك على طاعة الله، وإن كان من الجهلاء الذين اتخذهم الناس ووصفوهم الناس بكونهم علماء«حتى اذا لم يبقى عالما اتخذوا الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (معجم الشيوخ [٢/١٠٥٧]). فإنه وبالًا على العبد، والله عز وجل قد بين لك المحجة وأقام عليك الدليل والحجة، فقال لك {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣].فلا عذر للعبد إذا وقف بين يدي الله وقال فلان أفتاني، إذا لم يكن فلان أهل، ولم يكن من أهل الذكر. فإذن ليبحث الموفق عن من يوثق بدينه وعلمه وأمانته لكي يدله على الله عز وجل.

ومما يعين على ذلك أن يصحب العلماء الأمناء الأتقياء الفضلاء، أو يصحب طلبة العلم الصادقين المجدين في طاعة الله جل جلاله، الذين هم أقرب إلى أهل العلم فهذا مما يعين أهل العلم بأحكام الحج والعمرة.

الوصية الثالثة: الرفقة الصالحة

أيضًا في هذا الباب الذي يوصى به الحاج ببيت الله والمعتمر.

أن يبحث عن الرفقة الصالحة فيحج مع من يعينه على طاعة الله ومحبة الله ومرضاة الله.
الرفقة ..الرفقة ..الرفقة .. يا عبدالله.

إياك أن تغش نفسك وانظر إلى من حولك، فإن وجدتهم ممن يعينوك على طاعة الله ويثبتوك على طاعة الله؛ فنعم والله القوم، فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليس.

وإن وجدتهم يضيعون الأوقات أو والعياذ بالله يتساهلون في الواجبات ولربما استرسلوا إلى الوقوع في المحرمات من الغيبة والنميمة و الإستهزاء بالمحارم أو بالمسلمين.

فالله... الله ...كم من خير أضاعه العبد بسب الرفقة! كم من خير أضاعه العبد على نفسه بسبب الصحبة! وكم من خير وبر ودرجات علا ترقى الإنسان بهم بفضل الله ثم بفضل الصالحين الذين صدق في اختيارهم مع الله.

ابحث عن من يقربك إلى الله.

إلى متى وأنت تغش نفسك؟! يذهب الإنسان ويجلس مع من يتسمى بالطاعة والخير فإذا جاء ينظر إلى آخر المجلس، يجد قلبه قاسيًا ويجد نفسه لاهيًا ناسيًا -فإنا لله وإنا إليه راجعون- وأعظم مايكون هذا إذا كان في حال العبادة. ثم مع ذلك تمر السنة تلو السنة والإنسان يغش نفسه ويسكت عن ذلك.

أما المُجد الصادق في عبودتيه لله ينظر إلى من حوله فإن وجده مقصرًا أو يحمل على التقصير أو يتتبع الرخص، أو يهون عليه فيما أمر الله بتعظيمه؛ فإما أن ينصحه أو ينفض يديه منه. وكم من أقوام رأوا في من صحبوهم التقصير، فمنهم من نصح فلم تقبل نصيحته. حتى إن البعض يصفهم بالتشدد -فيقول: "فتركتهم فعوضني الله رفقة أفضل منهم وهم أناس أعلمهم السنن حتى لا تمر علينا لحظات إلا وأنا أعلمهم، حتى أني فزت بخير كثير من الأجور في تعليمهم".

فضل من الله إذا خرجت مع صحبة تعينك على ذكر الله وتعينك على القيام بحق الله فهذا أهم ما ينبغي في حياتك، فكيف وأنت حاج ومعتمر زائر إلى بيت الله.

الوصية الرابعة: اغتنام الوقت

الأمر الرابع الذي يوصى به الخارج إلى بيت الله؛ اغتنام الوقت وعدم التساهل في الأوقات والحرص على عمارتها بذكر الله، والاشتغال بما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وأيضا حينما يأتي إلى المشاهد العظيمة كيوم الوقوف بعرفة، لا يقف وقوف الجاهلين ولا يقف وقوف الغافلين.

استحضار القلب أول ما تستحضر؛ أنك حين تلبي، بل حتى قبل أن تخرج من بيتك للحج والعمرة تصور أنك ضيف على الله سبحانه وتعالى، وقتها يحترق قلبك وكأن منادي يناديك، النفس اللوامة تناديك وتقول لك يا هذا، تجمل لله جل جلاله.

مامعنى أن تتجمل لله: أن لا يرى منك إلا مايحب وأن لا يسمع منك إلا ما يحب فأنت ضيف على الله، فالضيف يتأدب مع الله ولذلك دعاك إلى هذا الأدب فقال: {فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج} [البقرة:١٩٧]، دعاك للأدب معه سبحانه وتعالى، حتى الحلال وهي الزوجة؛ الإنسان لا يستطيع أن يقول لها شيء مما يكون بين الرجل وزوجته، تعظيم لحرمة هذه العبادة، تعظيم للوقت، تعظيم للمنسك.

عبادة عظيمة! هؤلاء الذين وفدوا على الله، أبَى الله -الصادق منهم في حجه وعمرته- إلا أن يرجع مغفوراً كيوم ولدته أمه بلا ذنب ولا خطيئة وفي بعض الروايات -أخذ منه العلماء- (من أتى هذا البيت) سواء في حج أوعمرة، سواء إذا كانت العمرة على الصفة فلا رفث ولافسوق فإن صاحبه يرجع كيوم ولدته أمه، سعيه مشكور وذنبه مغفور.

الوصية الخامسة: الاستشعار

الوصيه التي اختم بها نسال الله أن يختم لنا ولكم بالخير.

الاستشعار؛ حينما تأتي وتريد أن تهل بالحج وتنظر إلى حالك وأنت تنزع عنك ثيابك، كيف الله أخرجك من هذه الثياب؟! أنت الذي تنزعها فكيف إذا نُزعت الروح وأسلمتها لله فنُزعت منك قهراً.

كيف يكون حالك تخرج من أهلك ومالك وولدك من أجل أن تتغرب فكيف إذا نُزِعت منهم بالموت وخرجت منها. أبَى الله إلا أن يُخرج من هذه الدنيا خلقه، فلا يبقى الغني ولا الثري ولا الفقير {كل نفس ذائقة الموت} [آل عمران:١٨٥]. ذكرك الله بالموت وأنت تلبس هذين الثوبين وقد تجردت من الدنيا ثم تستشعر وأنت مقبل على بيت الله. تدخل تريد أن تطوف، تقول يارب أي نعمة!! هذه النعمة، الناس يموتون في القفار والصحاري. سلمتني وأمنتني ولوشئت يارب أهلكتني. كم من حجاج ماتوا في الأودية والقفار و بطون البحار.حنوا إلى بيت ربهم فاغترمتهم المنايا والآجال فانقطعوا عن بيت الله ووصلك الله، فتحمد الله وتشكره أن الله أمنك في طريقك، أن الله سلمك، أن الله أطعمك، أن الله سقاك. فإذا دخلت على بيت الله استشعرت هذه النعمة بمجرد أن تدخل الحرم، تتذكر الحرم والحرمة. ثم إذا دخلت إلى المسجد، تذكرت أنه أفضل مكان على وجه الأرض وأنك أمام بيت الله العتيق الذي أعتقه الله من الجبابرة والأكاسرة فما قصده جبار إلا قسمه الله.

وتتذكر أن الله تعالى جعل هذا البيت مباركًا ومعنى المبارك من كثرة الخير الذي جعله الله لمن أمّ هذا البيت موحدًا لله عز وجل، فما شقي عبد قصد هذا البيت. فكم من أشقياء دخلوه مذنبين فخرجوا سعداء؟! فكم من مهموم ومغروم ومنكوب؟! ..وكم! ..وكم! والله لو أذن لتلك الأرض أن تتحدث بما كان عليها من الفضائل والنوائل والرحمات والنفحات وجبر الخواطر لهالك ما سمعت؛ فهذه رحاب طاهرة. تتذكر وأنت تقَبل الحجر أنك الوحيد على وجه الأرض الذي دخل رأسه في الحجر مقبلًا، من الذي أعطاك هذا الفضل؟! تتذكر وأنت تستلم الحجر أن النبي صلى الله عليه وسلم استلمه من قبلك، وأن هذا الذي تعيشه فضل من ربك حينما تستشعر هذة الأشياء فتشكر وتحمد.

تتقرب إلى الله فتنفحك رحماته وبركاته فلا تدخل دخول الغافلين وأنما تدخل دخول المخبتين القانتين المنكسرين المنيبين الذاكرين، ثم بعد ذلك تشهد كل المشاهد وأنت حاضر القلب خاشعًا للرب ترجو رحمته وتخشى عذابه وتمضي إلى عرفات وأنت كلك أمل أن تكون أسعد الناس بالله، كما جاء في الحديث القدسي «أنا عند حسن ظني عبدي بي» (صحيح ابن حبان[٦٤١])، فإذا مضيت إلى عرفات فلا تمضي من أجل حاجة أو حاجتين بل امضي وأنت تحس أن الله سيقضي لك كل حاجة من قوة اليقين ومن كمال الإيمان والتوحيد. هذا ربك الذي لا يرد السائلين، هذا ربك الذي لا يخيب الراجين، هذا ربك وهو أرحم الراحمين، هذا ربك وهو أكرم الأكرمين، هذا ربك الذي دعاك إلى هذا المشهد العظيم؛ الذي ما من يوم أكثر من يعتق فيه من النار من ذلك اليوم فلسان حالك يقول ياربي لا تجعلني أشقى الناس، في هذا اليوم كلك رجاء في الله كلك أمل في الله تمضي لربك بذلك القلب المنكسر، تحس أن الدنيا قد عظتك بهمومها وغمومها وأشجانها وأحزانها، تحس أن هذه الدنيا ضيق لا يخرج من ضيقها الإ الله، وتحس أن هذه الدنيا فجائع وقوارع لا يؤمن منها الإ الله، تمضي إلى ربك بحوائج الدنيا والدين والآخرة وأنت على يقين أن الله لها وحدها سبحانه وتعالى.

أستودع الله أموري كلها إن لم يكن ربي لها فمن لها، هذا ملك الملوك هذا أرحم الراحمين الذي عجت ببابه الأصوات وارتفعت بالدعوات فما أقفلت خزائنه ولا أقفلت دون العباد أبوابه، هذا الذي ينادي كل ليلة؛ هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له.

تمضي إلى عرفات وكلك أمل في الله تحمل همك وهم أولادك وهم والديك وهم ذريتك وهم أخوانك المسلمين فتدعو إلى الله وتسأل الله وتضرع وتنيب إلى الله وتخبت إلى الله، وتحس أن الله سبحانه وتعالى أقرب إليك من حبل الوريد وأن الله لايخيبك وأنه عند حسن ظن عبده به، فيا ا لله كم من أقوام دعوا فما رُدت دعواتهم، ويا لله كم من أقوام تضرعوا وابتهلوا ففازوا في دعواتهم وابتهالتهم.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور وأجر موفور، واغفر لنا ولمن حضر مجلسنا ومن استمع إلينا ومن حبنا فيك، اللهم اغفر لنا ولأبائنا ولأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا ولأزواجنا وذرياتنا، اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتصلح بها أحوالنا وتستر بها عيوبنا وتفرج بها كروبنا وتصلح بها أمورنا، اللهم اهدنا بهداك، واجعل عملنا في رضاك، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم فرج الهم عن المهمومين ونفس الكرب عن المكروبين واشفي مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم إن بالإسلام وأهله من البلاء مالا يشتكى إلا إليك ولا يعول في كشفه إلا عليك، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت السميع القريب المجيب نسألك بعزتك وجلالك وعظمتك وكمالك أن تنصر دينك وتعلي كلمتك، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك

وعبادك الصالحين، اللهم اظهر الهدى ودين الحق الذي ارتضيته لنفسك على الدين كله ولو كره الكافرون، اللهم اكتب لأهل هذا الدين عزًا ونصرًا واكتب لمن عادى الدين ذلة وقهرًا ومهانة، اللهم اغفر لأموات المسلمين، اللهم نور عليهم قبورهم اللهم افسح لهم فيها يا أرحم الأرحمين، ارفع درجاتهم في المهدين، اخلف في عقابهم في الغابرين، واغفر لنا ولهم، اللهم وفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى وخذ بنواصي الأمور لكل بر وتقوى، اللهم انصر بهم دينك واعلي بهم كلمتك وانشر بهم رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم دمر أعداء الدين اللهم شتت شملهم، اللهم فرق جمعهم، اللهم احصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحد، اللهم الطف بإخواننا في مصر اجمع شملهم ونور قلوبهم واشرح صدورهم واصلح ذات بينهم واحقن دمائهم واجعل لنا ولهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، اللهم اجبر خواطرهم ووسع ارزاقهم واكفهم كيد أعدائهم يا حي يا قيوم والقي على بلدهم الأمن والأمان والسلامة والإسلام، الطف بإخواننا في سوريا اجمع شملهم واصلح أمورهم ياحي ياقيوم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ومن كل بلاء عافية، اللهم الطف بالإ سلام وأهله في مشارق الأرض ومغاربها وحيث ما كانوا، اللهم فرج همومهم ونفس كروبهم وارحم موتاهم وداوي جرحاهم واطعم جائعهم واكسي عاريهم يا إله الأولين لا إله إلا أنت، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم أنت الله لا إله إلا أنت. نسألك بعزتك وجلالك وعظمتك وكمالك أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سميع يا مجيب الدعاء، سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.